المحاضرة الأولى: مدخل مفاهيمي

(النظرية- الحلقة- المدرسة)

للولوج في الدرس اللساني الحديث والتعمق فيه لا بد من التمييز بين مصطلحات عدة ومفاهيم متقاربة تستخدم في هذا الدرس، لذا وجب علينا التمييز بين مفاهيم ثلاثة؛ هي:

1- مفهوم النظرية:

كلمة نظرية مشتقة من الجذر الثلاثي (نَظَرَ)، وقد جاء في لسان العرب لابن منظور: «النَّظَرُ حِسُّ العَيْنِ نَظَرَهُ يَنْظُره نَظَرًا وَمَنْظَرًا ومَنْظَرَةً وَنَظَرَ إِلَيْهِ، المَنْظَرُ: مَصْدَرُ نَظَرَ... وتَقولُ نَظَرْتُ إِلى كَذَا وكَذَا مِنْ نَظَرِ العَيْنِ ونَظَرِ القَلْبِ»

وتعرّف النظرية على أنها دراسة عقلانية ومنطقية لموضوع ما بغية استخلاص نتائج تسهم في تعزيز فكرة رئيسة تُبنى عليها النظرية.

وقد استخدم مصطلح النظرية قديما في الفلسفة اليونانية للإشارة إلى المفاهيم التي تخالف التطبيقات العملية (عكس التطبيق)، وقد أخذت النظرية مفهوما مغايرا في القرن 16 ميلادي للدلالة على الدراسات التي اعتمدت مصادر موثوقة، حيث يمكن تطبيقها في مجال خاص، ومن مفهومها الجديد هذا القابل للتحليل التفسير استخدمت في الدراسات المختلفة، الشيء الذي قدّم إضافة نوعية في مجالاتها المختلفة خاصة الدراسية منها، حيث أضحت تدّرس في مختلف الأطوار التعليمية.

2-مفهوم الحلقة:

جاء في لسان العرب في مادة (حَلَقَ): «تَحَلَّقَ القَوْمُ جَلَسوا حَلَقَةً حَلَقَةً... وفي الحَديثِ الجالِسُ وَسَطَ الحَلَقَةِ مَلْعونٌ لأَنَّهُ جَلَسَ في وَسَطِها اسْتَدْبَرَ بَعْضَهم بِظَهْرِهِ فَيُؤْذيهِم بِذَلِكَ فَيَسُبُّونَهُ وَيَلْعَنونَهُ».

أما اصطلاحا فالحلقة الدراسية هي مجمعة محدودة من طلبة الجامعة المتخصصين، يمثلون عناصر الحلقة، كلهم متساوون؛ لا موجّه لهم ولا مدرس، مهمتهم دراسة موضوع محدد.

أما حلقة البحث فتختلف عن الحلقة الدراسية فهي مجموعة طلبة من خريجي جامعة أو مدرسة منخرطة في البحث العلمي أو الدراسة المكثفة، ويشرف عليهم أستاذ.

3-مفهوم المدرسة:

جاء في لسان العرب في مادة (دَرَسَ): « دَرَسَ الشَّيْءُ والرَّسْمُ يَدْرُسُ دُروسًا: عَفا. ودَرَسَتْهُ الرِّيحُ، يَتَعَدَّى ولا يَتَعَدَّى، ودَرَسَهُ القَوْمُ: عَفَّوْا أَثَرَهُ، والدِّرْسُ: أَثَرُ الدِّراسِ... دَرَسَ الكِتابَ يَدْرُسُهُ دَرْسًا ودِراسَةً ودَارَسَهُ، مِنْ ذَلِكَ، كَأَنَّهُ عائِدَهُ حَتّى انْقادَ لِحِفْظِهِ... وقيلَ دَارَسْتَ قَرَأْتَ كُتُبَ أَهْلِ الكِتابِ، ودارَسْتَ: ذاكَرْتَهم»

المدرسة مكان التدريس والتعليم، وجَمْعُها مَدارسُ، والمدرسة جماعة من الدارسين سواء أكانوا مفكرين أم فلاسفة أم باحثين، يربطهم مكان مشترك، كما يربطهم مذهب فكري معين، وعادة ما تكون آراؤهم مشتركة.

المحاضرة الثانية: ثنائيات دي سوسير

توطئة:

التغير الذي حدث في الدرس اللغوي أواخر القرن 19 وبداية القرن20 هو تحول جذري في الدراسات اللغوية من الجانب التاريخي، حيث كان هدفه معرفة تاريخ اللغات والكشف عن العلاقات الموجودة بينها، إلى جانب وصفي تحليلي يركن إلى وصف اللغة في نقطة معينة من الزمن (الدراسة الآنية)، وأول من أسس لذلك هو العالم دو سوسير.

1- حياة فرديناند دي سوسير:

ولد في جنيف بسويسرا في 17 نوفمبر 1857م، من عائلة علماء فرنسية بروستانتية هاجرت إلى سويسرا خلال الحروب الدينية الفرنسية أواخر القرن 16م بعد عام من وليام فرويد سيغموند مؤسس علم النفس الحديث، وقبل عام من مولد إيميل دور كايم مؤسس علم الاجتماع الحديث، هذا الثلاثي الذي غير مسار العلوم الإنسانية والثورة على المناهج الكلاسيكية والمفاهيم القبلية.

تلقى تعليمه الأول في جنيف، واهتم باللغات الكلاسيكية والسنسكريتية، وقد توصل إلى نتيجة مفادها أن في اللغة الهندوأوربية أصوات أنفية مقطعية.

اهتم في بداية دراسته بالعلوم الطبيعية، ثم انتقل سنة 1876 إلى ألمانيا أين تحولت دراسته إلى علم اللغة، فدرس اللسانيات التاريخية والمقارنة وتتلمذ على يد بعض النحاة الجدد كأوستوف ولسكين، وخالفهم في كثير من القضايا اللسانية آنذاك.

وما بين 1880م و1891م أقام بباريس وتولى منصب مدير الدراسات بالمدرسة التطبيقية للدارسات العليا، وكان وقتها يحاضر لمجموعة من الطلبة في اللسانيات التاريخية والمقارنة.

وفي سنة 1891 رجع إلى مسقط رأسه واستقر هناك يدرس اللسانيات الآنية والتنظير اللساني العام الذين اشتهر بهما بعد موته.

ورغم أن محاضراته التي أسست للعلم الجديد كانت في السنوات الأخيرة من عمره، إلا أنها أحدثت ثورة في الدراسات اللسانية، لذلك يعد أب اللسانيات الحديثة ومؤسس المنهج الآني وأول منظر في كل من البينونة والسيمياء.

2- مؤلفاته:

نشر دو سوسير مؤلفه الأول الذي جلب له شهرة عالمية عندما كان طالبا في ألمانيا بعنوان "دراسة حول النظام البدائي للصوائت في اللغات الهندية الأوربية"، وكان في عمره 21 عاما.

- مؤلفه الثاني هو أطروحة دكتوراه حول حالة الجر المطلق في السنسكريتية عام 1881م.

- مؤلفه الشهير (محاضرات في اللسانيات العامة Cours de linguistique general الذي كان بمثابة تأسيس لعلم جديد فقد صدر بعد موته بثلاث سنوات 1916م على يد شارل بالي وألبار سيشيهاي.

3- الخلفية العلمية والمنهجية لدي سوسير:

إن نشوء نظرية لغوية جديدة في أوائل القرن العشرين لم تأتي من عدم إنما بنيت على أفكار ومجهودات بعض اللغوين في أواخر القرن 19، ومن المعروف أن بداية دي سوسير كانت مع اللسانيات التاريخية والمقارنة، ولم تظهر بوادر هذه النظرية إلا في المحاضرات التي ألقاها على طلبته في جامعة جينيف بين الفترة 1906م و 1911م.

ونذكر بعض اللغويين الذين أفاد منهم دوسوسير خاصة بعد تخلي كثير من علماء اللغة عن النظرية التي تعد اللغات كائنات حية شأنها في ذلك شأن الأجناس البيولوجية، مما جعل دي سوسير يراها على أنها مجرد أشياء قابلة للدرس وخاضعة لمحك التجربة.

3-1- <u>بودوان دي كورتيني</u>: عالم لغة من أصل فرنسي ولد عام 1845 وقد خاض بدراسته في النحو والصرف والقانون الصوتي والقياس، عمل بجامعات عدة في روسيا وبولندا (توفي عام 1929) له مؤلفات كثيرة قاربت 400 عملا.

3-2- <u>وايتني</u>: أمريكي الأصل وهو عالم الدراسات الهندوأربية، وقد تأثر دو سوسير بفكرة وايتني في فهم اللغة على أنها نظام علامات، والعلاقة بين الفرد والجماعة، وبين اللغة والفكر، ويذكر سوسير على حكم مبكر بأفكار وايتيني خاصة بعد ترجمته عملين "اللغة ودراسة اللغة" و"حياة اللغة ونموها" إلى الألمانية سنة 1884 أو

1887م. وقد أصدر كارل بروجمان سنة 1894 في تأبينه لوايتيني تأثيره في سوسير وفي جيله.

3-3- <u>علوم أخرى</u> (غير لغوية): قد أفاد سوسير من العلوم الأخرى التي لها صلة بعلم اللغة اكثير من القضايا كعلم النفس وعلم الاجتماع.

فكرة الثنائيات تظهر تأثره بالنظرية الكلاسيكية القائلة بأن ثمة وجهين مختلفين لكل شيء في هذا الكون كلاهما يكمل الآخر.

4- موضوع علم اللغة العام (اللسانيات).

يرى سوسير أن اللسانيات فرع من السيمياء (Semiology) علم العلامات العام الذي يدرس الأنظمة المختلقة للأعراف التي بدورها تمكن الأعمال البشرية من أن يكون لها معنى، وتصير في عداد العلامات، وبهذا تكون اللسانيات نموذجا حيا للسيمياء حسب سوسير؛ لأن طبيعة العلامات الاعتباطية والعرفية في اللغة واضحة ولا يعتريها أي غموض.

وبعد مناقشة المبادئ العامة التي ترتكز عليها اللسانيات توصل إلى تحديد موضوع اللسانيات في خاتمة محاضراته حيث يقول: ÷إن موضوع اللسانيات الصحيح والوحيد هو اللغة ذاتها في ومن أجل ذاته.

إن هذه النظرية الاجتماعية لدى سوسير تفسر تأثره الشديد بعلم اجتماع دوركايم، وهذا الجدول يفسر تأثره بذلك:

دور كايم	دو سوسير
- تسكن الحقائق الاجتماعية في المجتمع ذاته وليس في أجزائه أعضاء المجتمع، و لا يتضح الناتج الاجتماعي كاملا لدى فرد مفرد.	**- اللغة لا توجد كاملة إلا في الجماعة.**
- الحقائق الاجتماعية ملزمة للفرد.	**- اللغة نتاج لا يمتكله الفرد إلا بصورة سلبية، وهي ملزمة للفرد الذي لا يستطيع أن يوجدها ولا يغيرها من نفسه.**
- يجب أن يبحث التفكير الجمعي "في ذاته ومن أجل ذاته".	**- يجب أن تبحث اللغة "في ذاتها ومن أجل ذاتها".**

5- مبادئ اللسانيات ومهمتها:

خصص سوسير فصله الأول للحديث عن تاريخ اللسانيات، بينما خصص الفصل الثاني للخوض في مادة اللسانيات ومهمتها وعلاقتها بالعلوم الأخرى.

أ-مادتها: يقول دوسوسير: «إن مادة اللسانيات تشمل كل مظاهر اللسان البشري سواء أتعلق الأمر بالشعوب البدائية أم الحضارية ام بالعصور القديمة أم بعصور الانحطاط»، وحسب هذا التعريف فاللسانيات تهتم باللغة الانسانية جميعها دون تمييز لسان عن آخر، كما يمكن دراستها في أي زمان كان.

ب-مهمتها: وقد لخصّها دوسوسير في ثلاث نقاط، هي:

- تقديم وصف لجميع اللغات وتاريخها، بالإضافة إلى سرد تاريخ الأسر اللغوية وإعادة بناء اللغة الأم لكل منها كلما أمكن ذلك.
- تحديد القوى الكامنة المؤثرة بطريقة مستمرة وشاملة في كافة اللغات، واستخلاص القوانين العامة التي تتحكم في كل الظواهر التاريخية الخاصة.
- تحديد نفسها والتعريف بنفسها.

6- ثنائيات دوسوسير:

يرى سوسير أن علم اللغة كي يكون مستقلا يجب أن توجد له مهمة محددة ومعروفة، وفي علم اللغة ذلك مهم لدرجة كبيرة لأن الكثير من العلوم تعنى بالإنسان، وحتى يكتسب هذا العلم الاستقلالية، لأن الماضي بيّن أن علم اللغة في خطر أن تمتصه علوم أخرى.

وحتى يعثر على هذا الموضوع يرى دو سوسير أن الظاهرة اللغوية تتمثل في ثلاثة مصطلحات أساسية هي: اللسان le langage واللغة la langue والكلام le parole، وقد اكتسبت هذه المصطلحات صبغة عالمية.

إن المصطلحات السابقة الذكر (اللسان – اللغة – الكلام) هي مصطلحات عالمية استعملت بهذا المفهوم، فاللسان (اللغة الإنسانية le langage) يدل على النظام العام

للغة، ويضم كل ما يتعلق بكلام البشر، ويتكون من ظاهرتين مختلفتين هما اللغة والكلام.

6-1- <u>اللغة والكلام</u>:

الكلام الانساني حسب سوسير له أشكال كثيرة وتابع إلى مجالات مختلفة، فهو فيزيائي ونفسي وفسيولوجي في الوقت ذاته، ولذلك لا يمكن أن تكون اللغة (الكلام الانساني) موضوع علم اللغة، لأنه يجب أن تشترك فيه كل العلوم العقلية وعلم وظائف الأعضاء.

أما اللغة المعينة la langue على عكس ذلك، فهي جزء معين جوهري حقيقي، ولها المكانة الأولى بين حقائق الكلام الإنساني، فهي نظام اجتماعي، وحسب سوسير هي واقعة اجتماعية خصوصياتها ليست مجردة بل متواجدة بالفعل في عقول الناس، ويشبهها بالقاموس الذي يمثل في الأصل الذاكرة الجماعية لما يحتويه من علامات لا يستطيع الفرد أن يختزنها في دماغه، ويقول في ذلك: « إن اللغة لا توجد على شكل مجموعة من البصمات المستودعة في دماغ كل عضو من أعضاء الجماعة على شكل معجم تقريبا، حيث تكون النسخ المتماثلة موزعة بين جميع الأفراد، وهي لا تتأثر بإرادة المتكلمين».

ويميز دوسوسير اللغة المعينة بسمات جملها فيما يلي:

- اللغة جزء اجتماعي من الكلام الإنساني ومستقل عن الفرد الذي لا يمكن أن يخلقها ولا أن يغيرها بنفسه وحده، فهي تنشأ على أساس نوع من الاتفاق بين أعضاء الجماعة.
- اللغة يمكن أن تبحث مستقلة عن الكلام، فاللغات الميتة التي تُعد تُتحدث تُبحث وتعلّم.
- اللغة حسب طبيعتها متجانسة في ذاتها، فهي نظام من العلامات.
- كل ما يتعلق باللغة يمكن تحديده، وأداة ذلك الكتابة.

إذا فاللغة في نظر دي سوسير هي كنز اجتماعي يتكون من عناصر وقوانين تمثل نظاما عاما لا يمكن للفرد أن يحيد عنه (تصريف فعل ما مثلا ← يتبع قواعد التصريف)، ومن هنا فإن موضوع اللسانيات هو اللغة بكل جوانبها (النحوية والصرفية والصوتية والدلالية) المرتسمة في عقول جميع الناس.

أما الكلام عنده فهو فعل ملموس، ونشاط شخصي مراقب يمكن ملاحظته من خلال أداء الأفراد الشفوية أو كتاباتهم، وهو مطابق لمفهوم الأداء عند تشومسكي، ويعرفه دوسوسير بقوله: «إنه مجموع ما يقوله الأفراد، ويشمل (أ) أنساقا فردية خاضعة لإرادة المتكملين و(ب) أفعالا فونولوجية إرادية أيضا وضرورية لتنفيذ هذه الأنساق، إنه ليس وسيلة جمعية، وتكون مظاهره فردية ووجيزة للغاية»

من هنا فإن دي سوسير يرى بأن الكلام لا يترجم اللغة حتى وإن كانت اللغة هي مجموع كل كلام الجماعة اللغوية، إلا أن موضوع علم اللغة هو اللغة كنظام وشكل كلي.

6-2- اللسانيات الزمانية واللسانيات الآتية:

تتناول اللسانيات الزمانية بالدراسة التغيرات والتطورات المختلفة التي طرأت على لغة ما في أكثر من فترة زمنية أو خلال حقب متتابعة من الزمن، أما اللسانيات الآنية تدرس اللغة دراسة وصفية في حالة معينة؛ أي في نقطة زمنية محددة ولا تقتصر على دراسة اللغات الحديثة أو المعاصرة فحسب، بل يمكنها أن تدرس اللغات الميتة بشرط أن تتوفر كل المعطيات اللغوية التي تبنى عليها الدراسة العلمية الوصفية.

وكل من الدراستين يناسبها منهج معين فاللسانيات الزمانية منهجها تاريخي تتبعي حركي تطوري، بينما اللسانيات الآنية منهجها وصفي استقرائي ساكن.

والجدير بالذكر هنا أن دي سوسير لم يرفض اللسانيات الزمانية، كما لم يعدها شيئا ثانويا أو فرعيا، إنما ألح على الفصل بينهما كي لا تدحض النظرة التطورية الوصف الآني، وكي تثبت كل واقعة في مجالها الحاضر؛ لأن كلا المنهجين مهم في الدراسة اللغوية.

وحسب دي سوسير فاللسانيات الآنية تغنى بالعلاقات النفسية والمنطقية التي تربط مفردات متواجدة معا، وتشكل نظاما في العقل الجماعي للمتكملين، بينما اللسانيات الزمانية تدرس العلاقات التي تربط المفردات المتعاقبة التي لا يذكرها العقل الجماعي، والتي يحل بعضها محل بعض دون تشكيل أي نظام يذكر، وفي هذا استعان دو سوسير بمثال دراسة مقطع في نبات ما من خلال:

- مقطع عرضي: العلاقات القائمة في الألياف وترتيبها الحاضر تمكننا من المعرفة الدقيقة للبنية النباتية في مرحلة خاصة من النمو وذلك بمقارنة مختلف الأجزاء وعلاقاتها ببعضها. ويجب أن تكون الدراسة الآنية مركزة على تناسق الأجزاء وترابطها.

- مقطع طولي: تظهر الألياف الذي تشكل النبات، وقد تتفرع هذه الألياف أو تختفي فهي تشبه الدراسة الزمانية.

3-6 العلامة اللغوية:

هي العنصر الأساس في النظام، وما اللغة إلا نظام من العلامات، كما هي وحدة أساس في عملية التواصل بين أفراد مجتمع ما، وتضم جانبين هما: الدال (significant) والمدلول (signifié) وكلا الجانبين يستلزم الآخر ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، ويمثلان وجهين لشيء واحد كوجهي الورقة أو العملة.

*- **الدال:** هو الصورة الصوتية سمعية كانت أو مرئية، فهو ذلك الشيء المادي الحسي الذي يظهر في الحديث أو في النص.

*- **المدلول:** فهو ذلك التصور الذهني الذي يتداعى لدى الشخص عند تلاقيه مع الدال، إذا فالمدلول معنوي خفي مرتبط بالذهن.

ويرى دو سوسير أن العلاقة بين الدال والمدلول في العلامة اللغوية علاقة اعتباطية مثلها مثل باقي العلامات الأخرى.

فالعلاقة بين الدال والمدلول ليست مبررة وغير معللة وغير طبيعية؛ وذلك يفسره وجود لغات عدة ولهجات كثيرة حول العالم، فلو كانت العلاقة بينهما على عكس ذلك لوجدت لغة إنسانية مشتركة بين الجميع.

*- **ثبوت العلامة وتغيرها:** إن وصف العلامة بالتغير والثبوت في آن واحد من قبل دي سوسير قد يبدو أمراً متناقضا لكنه أراد أن يؤكد على أن اللغة تتغير على الرغم من عدم مقدرة الناطقين بها على تغييرها.

- ثابتة قوانين ملزمة الاتباع.
- متغيرة كتغير الحديث عبر الزمن (تغيرات تصيب الدال: تغير الصوت/ تصيب المدلول: تطور دلالي)
- القيمة اللغوية: تأخذ العلامة اللغوية قيمتها داخل التركيب، فاللغة في نظر دي سوسير لا يمكن أن تكون إلا نظاما من القيم المجردة.

6-4- <u>العلاقات التركيبية والترابطية:</u>

وهي تمثل العلاقات المختلفة بين الوحدات اللغوية على مستوى التركيب أو على مستوى الذهن من خلال ما تستدعيه وحدة لغوية ما، وهي:

أ- **العلاقات التركيبية:** (المحور التركيبي، الأفقي) وهي العلاقات الأفقية القائمة بين الوحدات اللغوية ضمن السلسلة الكلامية الواحدة، كالعلاقة بين أصوات الكلمة الواحدة، أو كلمات الجملة الواحدة، حيث تضفي كل وحدة معنى إضافيا على الكل، ولا تكتسب قيمتها إلا بتقابلها مع الوحدات التي تسبقها أو التي تليها، ففي المثال الآتي: "صار الطقس باردًا" يمكن ملاحظة العلاقات التركيبية على مستويين:

- مستوى المفردات: صار+ الطقس+ باردًا، والعلاقة بين كل مفردة وأخرى في التركيب (صرفي- نحوي...)
- مستوى الأصوات: العلاقة بين الأصوات داخل السياق. (معجمي – صوتي...)

ب-**العلاقات الترابطية:** (المحور الترابطي، العمودي) وهي العلاقات الاستبدالية بين الوحدات اللغوية التي يمكن أن تحل محلها، وهي علاقات خفية تتم على مستوى الذهن باستبدال مفردة مكان أخرى في التركيب، هذه الأخيرة لا توجد في السياق إنما تستدعيها المفردة الأولى:

صار الطقس باردًا

أصبح الجو رطبا

أضحى المناخ ممطرا

كان المناخ صافيا

هذا على مستوى الجملة، وقد يكون على مستوى المفردة بتغيير الحرف الأول نحو: (نام- قام- هام- رام- دام) أو الحرف الثاني أو الثالث وهكذا.

هذه أهم الثنائيات التي جاء بها دو سوسير، وهي ضرورية لفهم طبيعة اللغة، وهناك ثنائيات أخرى (كالسيمياء واللسان) و(الشكل- المادة) (الرمز والعلامة) (لسانيات اللغة- لسانيات الكلام) (اللسانيات السكونية واللسانيات التطورية) وتجدر الإشارة إلى أن دي سوسير كان مولعا بنظرة فلسفية إلى الأشياء جعلته يقبل على إقامة ثنائياته.

وعلى الرغم من مكانة دي سوسير العلمية فقد سجلت عليه بعض النقائض خاصة في حديثه عن الفونولوجيا والتركيب والدلالة، ففي مجال الفونولوجيا توصل إلى التمييز بين الفونيتيك والفونولوجيا، وكان بصدد إرساء دعائم العلم الذي سمي فيما بعد بالفونولوجيا وجاءت تعقيباته في ذلك مظللة للقارئ المتعود على المصطلحات الحديثة.

أما في التركيب فقد عد الجمل الملحوظة من نتاج الإرادة الفردية وليس كينونات من النظام اللغوي العام: (من أين تأتي اللغة إذا لم تكن مجموع الكلام الفردي للجماعات؟)، أما من حيث الدلالة فقد عرقل تطور علم الدلالة وأخره؛ لأنه مادي يعطي أولوية للقيمة على الدلالة أو المعنى.

خلاصة:

ومهما يكن ما جاء به دي سوسير فيعد أب اللسانية الحديثة، فهو أول من أثبت أن اللغة نظام قائم بذاته وشبكة واسعة من العلامات والتراكيب، حيث لا تكتسب مكوناتها قيمتها إلا من خلال علاقاتها بالكل، كما كان أول من تخلى عن اللسانيات التاريخية، وأسس لعلم جديد (اللسانيات الآنية) بمنهج علمي حديث، ويعد مؤلفه الموسوم بـــ" محاضرات في اللسانيات العامة" مقدمة زاخرة بالأسس المنهجية في هذا العلم، وهو بنظرته هذه أسس لظهور كثير من النظريات والآراء حول اللغة ومناهجها بشكل عام.

المحاضرة الثالثة

مدرسة براغ اللسانية

1- مدخل:

هي مدرسة لسانية بنيوية تفرعت عن مدرسة سوسير ودرست اللغة من جميع مستوياتها الصوتية (صوتية وصرفية ونحوية ودلالية) باعتبارها بنية وظيفية، ولتتعمق أكثر في الجانب الصوتي الوظيفي (الفونولوجيا).

تنظر هذه المدرسة للغة على أنها نظام من الوظائف، وكل وظيفة هي نظام من العلامات.

وبوجه عام فإن مدرسة براغ باعتبارها تدرس اللسانيات الوظيفية التي تعد من أهم فروع اللسانيات البنيوية هي مدرسة من مدارس البنيوية الحديثة، ويطلق عليها عدة تسميات أخرى منها: المدرسة الوظيفية والمدرسة التشكية الروسيةو المدرسة الفونولوجية....

ومن أبرز أعلامها: فيلام ماتيزيوس، نيكولاي تروبوتسكوي، رومان جاكسبون، كارسفسكي، فاشيك، ترنكا، بوهلر، موكاروفسكي....

2- نشأتها:

كانت بداية نشأة هذه المدرسة في براغ حوالي عام 1926 على يد العالم التشيكي "فيلام ماتزيوس" الذي عقد مع مجموعة من الباحثين اجتماعات لغوية، فشكلوا بما يعرف بنادي براغ اللساني الذي أصبح فيما بعد يعرف بمدرسة براغ، وفي سنة 1928 انعقد أول مؤتمر عالمي لعلماء اللسانيات في لاهاي عرض فيه كل من رومان جاكسون ونيكولاي تروبتسكوي وكرسفسكي مجموعة من المبادئ اللسانية وقدموها تحت عنوان (النصوص الأساسية لحلقة براغ اللغوية) حيث أكّدوا فيها على الطابع الوظيفي للغة.

وبعد عام من ذلك في 1929 أصدر علماء مدرسة براغ (مجموعة من العلماء من هولندا وروسيا وفرنسا وألمانيا وإنكلترا وتشيكوسلوفاكيا) الجزء الأول من الدراسة الجمالية بعنوان *الأعمال* وفي العام الموالي 1930 ظهرت أول دراسة منهجية في تاريخ الأصوات اللغوية أعدها جاكبسون حيث عقد في عام 1931 مؤتمر الصوتيات.

ولم يستغرق تطور نشاط المدرسة إلا قرابة عشر سنوات، حيث حلت سنة 1938 لأسباب إيديولوجية، وتوقفت أعمالها لبضع سنوات نتيجة الحرب العالمية الثانية وموت أهم أعلامها: تروبتسكوي وماتزيوس.

واللافت للانتباه أن أفكار هذه المدرسة انتشرت وازدهرت خاصة في فرنسا على يد "مارتيني" و"إميل بنيفنيست" وتطورت مبادؤها على يد الأول لتكون المدرسة الوظيفية الفرنسية امتدادا لمدرسة براغ اللسانية، وكلاهما ينتمي إلى فرع اللسانيات الوظيفية، كما ازدهرت في "هارفارد" بالولايات المتحدة الأمريكية على يد مجموعة من اللغويين أهمهم "وليام لابوف" واتفقوا على النظر إلى البعد الاجتماعي بصورة جديّة، التوصل إلى تحطيم الفصل القائم الذي أقامه دوسوسير بين التاريخية والوصفية.

3- منهجها:

تنظر هذه المدرسة إلى اللغة على أنها نظام كلّي يجب دراسته بمستوياته المختلفة النحوية والصرفية والصوتية والدلالية دراسة وظيفية محضة الشيء الذي جعلها تختلف في منهجها عن باقي المناهج اللسانية، وقد شملت نشاطات هذه المدرسة مجالات كثيرة أهمها الصوتيات الوظيفية الآنية والصوتيات الوظيفية التاريخية والتحليل الوظيفي والعروضي وتصنيف التضاد الفونولوجي والأسلوبية اللسانية الوظيفية ودراسة الوظيفة الجمالية للغة ودورها في الأدب والمجتمع والفنون.

4- مبادئها:

ترتكز هذه المدرسة في دراستها على مجموعة من المبادئ يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

أ- **<u>المبادئ الجمالية:</u>**

وقد لخصها الفيلسوف جان موكاروفسكي في:

-الفن وطبيعة السيميولوجية: فهم علم الجمال البنيوي على أساس أنه جزء من السيميولوجيا، فلم يبق الأمر مقتصرا على الأدب إنما تعداه إلى تحليلات اجتماعية ونفسية تشمل شخصية الفنان والبيئة الداخلية للعمل الفني دون إهمال العلاقة بين الفن والمجتمع.

- دور الفاعل في الفكر الوظيفي: البنيوية الجمالية حسب فلسفة براغ تخلصت من وهم الفاعل المستقل (المؤلف) الذي يمارس سلطة مطلقة على جميع الأحداث، وترى أن الفاعل الحقيقي يظهر في الوظائف التي يقوم بها، ويتضح ذلك من خلال العمل الفني لا غير.
- خواص الوظيفية الجمالية وعلاقتها بالوظائف الأخرى:حسب فلسفة براغ فإن النظام الاجتماعي لا يولد بالضرورة شكلا معينا من الإبداع الفني رغم القوى الخارجية التي تمارس تأثيرا على الأبنية الفنية، بل التأثير الحقيقي على الفن يكون خاضعا لعوامل جمالية منبثقة من الفن في حد ذاته، وعليه يجب أن يوضع في الحسبان واقع الرمز أو العلامة والواقع الذي يشير إليه واتحادهما يمثل الفن، ومن هنا يجب التركيز على استقلالية الرمز وقدرته التواصلية دون إهمال السياق الاجتماعي ومقتضياته.

بالإضافة إلى أن المدرسة دعت إلى تعدد الوظائف للوحدات البنيوية واعتمادها على بعض العناصر الرياضية في تحليلاتها.

ب- <u>مبادؤه اللسانية</u>:

ويمكن تلخيص هذه المبادئ فيما يلي:

- عملية التطور هي كسر لتوازن النظام القائم وإعادته مرة أخرى.

(تغير يؤدي إلى تعديلات مهمة على الكلمات والأنظمة السياقية والموسيقية).

- البنيوية اللسانية كل شامل تتضمنه مستويات محددة (صوت، صرف، نحو، دلالة).
- العناصر اللسانية داخل البنية تربطها علاقات ببعضها كما تتعايش مع بعضها بعضا ولا يمكن فصلها.
- اللسانيات البنيوية تصوّر الواقع على أنه نظام سيميولوجي رمزي.
- ضرورة بحث المعالم البنيوية لدلالة الكلمات المعجمية، ورأت أن القاموس ليس مجموعة من الكلمات المنعزلة، إنما هو نظام تتناسق داخله الكلمات وتتعارض فيما بينها.

– التركيز على الدراسة الوصفية للغة دون إهمال الجانب التاريخي، بل يؤكدون على عدم الفصل بين المنهجين، فالدراسة التاريخية لا يمكن أن تهمل فكرتي النظام والوظيفة، والدراسة الوصفية لا يمكن أن تلغي فكرة التطور.

ج– <u>المبادئ العامة</u> (برنامج المدرسة):

ويتلخص برنامج المدرسة الذي يعد إسهاما في كون جديد يتصل بأهداف النظرية اللسانية، حيث وجَّهَ اللسانيين إلى ميادين البحث اللساني، وتتمثل فيما يلي:

– دراسة الوظيفة الحقيقة للغة المتمثلة في التبليغ والتواصل (كيفيته، مناسبته، لمن يوجه)، وهنا يظهر الطابع الاجتماعي للغة.

– اللغة حقيقة واقعية فهي بمثابة ظاهرة طبيعة ذات واقع مادي يتصل بعوامل خارجة عنها في البيئة الاجتماعية ترتبط بمستويات الاستعمال اللغوي، ومن هنا يجب التفريق بين لغة الثقافة ولغة الأدب، الصحف، لغة عامة ....

– الإحاطة بالعلاقة بين البنية اللسانية والأفكار والعواطف التي تحدثها البنية، لأن اللغة تتصل بكثير من المظاهر العقلية والنفسية للشخص.

– تختلف اللغة المنطوقة عن اللغة المكتوبة، لكل منهما خصائصها والعلاقة بينهما تحتاج إلى دراسة علمية.

– الاهتمام الأكبر في الدراسة يكون لجانب الوصفي لما له من اتصال مباشر بالحقائق اللغوية الواقعية دون استبعاد الدراسة التاريخية.

– الاهتمام بالبحوث والدراسات الفونولوجية التي تتجه أولا إلى دراسة التقابلات الفونيمية، فلا ينبغي فصل الظاهرة المورفولوجية عن الظاهرة الفونولوجية.

5– أعلامها:

من أعلام هذه المدرسة "فيلام ماتزيوس" و"ترنكا" و"هافرانيك" و"رموكاروفسكي" و"أندري مارتيني" و"إميل بنيفنيست" و"رومان جاكبسون" و"نيكولاي ترتسكوي"، وسنتطرق إلى جهود بعض البارزين الذين كان لهم أثر كبير على المدرسة.

5-1- فيلام ماتزيوس: (1882- 1945م تشيكي الأصل)

أحد مؤسسي المدرسة وألمع علماء اللسانيات واللغة والأدب الانجليزي، أسس بمعية معاونيه نادي براغ شغل منصب أستاذ لغة انجليزية بجامعة كارولين الأمريكية، كانت له دراسات عدة قبل ظهور المدرسة، ففي سنة 1911 نشر نداءه الأول لمنهج جديد غير تاريخي لدراسة اللغة بعنوان "حول كمونية الظواهر اللغوية"، ومن أهم أعماله أيضا استعمال الدراسة الوظيفية للمتميزين بين النحو والأسلوبية، ومن إسهاماته التي نالت شهرة كبيرة في اللسانيات التمييز بين مفهومي "الموضوع والخبر" وتطويره لمنظور الجملة الوظيفي.

فالموضوع theme يدل على شيء يعرفه السامع، وغالبا ما يذكر في الجمل السابقة، أو قل هو الاسم الذي تخبر عنه الجملة أو الكلمة التي هي محور الكلام في جملة ما، أما الخبر فهو الحقيقة الجديدة التي تتصل بالموضوع المذكور أوهو كل ما يقال عن الموضوع الكلام.

والهدف من هذا التحليل هو أدراك البنية العميقة للجملة وبلورة أبعادها الدلالية أو شرح الاختلافات البنيوية بين مختلف اللغات.

5-2- نيكولاي تروبتسكوي: (1890- 1938م روسي الأصل)

هو أحد أقطاب مدرسة براغ ولد سنة 1890 بموسكو من عائلة أمراء تلقى التشجيع منذ نعومة أظافره من أبيه الذي كان يعمل أستاذا بجامعة موسكو ثم عميدا لها، حيث انكب على الدراسات اللغوية منذ كان في الخامسة عشر من عمره ونشر مقالين عالميين في هذا العام.

وقد درس أيضا علم وفلسفة التاريخ والتاريخ العام للحضارات، وبعد مناقشته أطروحة الدكتوراه سنة 1916 أصبح أستاذا بجامعة بموسكو وأضطر إلى الفرار من موسكو إبان نشوب الحرب العالمية الأولى وأستقر في فيينا حيث درس الفيولولوجيا السلافية، وفي هذا الوقت انضم إلى نادي براغ اللساني إلى أن وافته المنية سنة 1938 نتيجة مرض قلبي تسبب فيه البوليس النازي.

يُعد نيكولاي تروبتسكوي رائد التحليل الفونولوجي في مدرسة براغ، وتتمثل أفكاره الفونولوجية:

أ- تطويره لمفهوم الفونيم، فهو عنده مفهوم وظيفي بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى أنه أصغر وحدة لغوية غير قابل للتجزئة.

وعلى خلاف اللغويين الذين سبقوه فقد أغفلوا الجانب الوظيفي للفونيم وركزوا على الجانب الأول من التعريف نحو: دي سوسير .....

فتروبسكوي يرى أن للفونيم وظيفة تمييزية (التمييز بين المعاني) عند دخوله في بنية مورفولوجية (الصرفية).

ب- التفريق بين الفونيتيك والفونولوجيا والفصل بينهما: فالفونتيك هو العلم الذي يدرس الأصوات اللغوية ويحللها مجردة (معزولة) عن غيرها من الأصوات، أما الفونولوجيا فهي العلم الذي يهتم بدراسة المعنى الوظيفي للنمط الصوتي ضمن النظام اللغوي.

ج- التفريق بين الفونيم والصوت: وذلك انطلاقا من التفريق الذي وضعه دوسوسير بين اللغة والكلام، فالفونيم هو مفهوم تجريدي ذهني فهو ينتمي إلى اللغة، أما الصوت فهو جانب مادي ملموس، فهو ينتمي إلى الكلام، الصوت هو الأداء الفعلي للفونيم.

د- الفونيم هو أصغر وحدة فونولوجية للسان المدروس، وقد وضع له تروبتسكوي جملة من القواعد منها:

أولا: إذا كان الصوتان من نفس اللغة ويظهران في نفس الإطار الصوتي يمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر دون أن يؤدي ذلك إلى تغيير في المعنى فهما صورتان اختياريتان لفونيم واحد نحو: قال- قال.

ثانيا: إذا كان الصوتان من نفس اللغة والإطار نفسه ولا يمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر فهما صورتان لفونيمين مختلفين نحو نام – صام، فبتغيير الفونيم يتغير معنى اللفظ.

ثالثا: إذا كان الصوتان من اللغة نفسها متقاربين من الناحية السمعية أو النطقية ولا يظهران في الإطار الصوتي نفسه فإنهما يعتبران صورتين تركيبتين لفونيم واحد نحو: ينجح حرف النون مخرج غاري تبعا للجيم، ينفع حرف النون مخرج شفوي أسناني تبعا لمخرج الفاء

هـ- الاهتمام بالأصوات من ناحية الفئة: الصوامت والصوائت، وكذلك الظواهر الصوتية مثل: النبر والتنغيم.

و- أتى بفكرة التقابل أو التضاد الفونولوجي، أي ان الوظيفة التمييزية للفونيم لا تظهر إلا عندما نقابله مع فونيم آخر، فهو يسهم في التمييز بين معان فكرية في لغة ما، وقسمه إلى أنواع أهمها:

- **التضاد السالب:**

ويمثله بفونيمين متماثلين لكن أحدهما يتضمن سمة صوتية غير موجودة في الآخر مثل: *س* و *ز* كلاهما صامت ومخرجهما أسناني لثوي لكن *س* مهموس أي لايحتوي على الجهر و*ز* مجهور أي محتوى على الجهر.

- **التضاد التدريجي:** تختلف الأطراف المتضادة في هذا السياق كونها تشتمل على درجات متفاوتة لخاصية معينة من الميل كدرجة انفتاح أعضاء النطق عند التفوه ببعض الصوائت: ا، و، ى، وذلك في الكلمات (قال، قيل، يقول) وصوائت كثير من اللغات الأوربية مثل: a.e.i.u.

- **التضاد المتكافئ (المتعادل):**ويكون عندما يتعادل التضاد في الطرفين من حيث القوة والتأثير، مثل التضاد في الفونيم (ف، ح) كلاهما مهموس أو(ب، ض) كلاهما مجهور.
- **التضاد الثنائي:** هو اشتراك الفونيمين في خصيصتين أو أكثر مثل: ك وخ فكلاهما طبقي مهموس، وكلما زادت عدد السمات المشتركة كانت العلاقة بين الفونيمين أكثر متانة.
- **التضاد المتعدد الجوانب:** وهو عدم اشتراك فونيمين في أي سمة إلا في فئة (صوامت، صوائت) فالفونيمين (ب، ع) لا يشتركان في أي صفة ما عدا أنها ينتسبان للصوامت، و(ا، ى) لا تماثل بينهما ما عدا أنها صوائت.
- **التضاد المتناسب:** عندما تكون الصفة المميزة نفسها توجد في بقية الأزواج الفونيمية الأخرى، فالجهر مثلا يفرق بين (د، ت) وكذلك (م، ك) و(ج، ح) وغيرها من الأزواج.

- **التضاد الممكن تحييده:** يحدث عندما يتغاير صوتان في بعض المواقع الكلامية وليس في كل المواقع، ففي اللغة الألمانية يصير تضاد بين t و d محايدا إذا ما وقع هذان الفونيمان في أواخر الكلمات حيث أن الفونيم t هو الذي ينطق به ويطلق عليه الفونيم الأم أوالكلي ويتضمن مجموعة السمات المميزة بين الفونيمين المتضادين.

5-3- رومان جاكبسون: (روسي الأصل)

ولد جاكسون سنة 1896م بموسكو من عائلة يهودية روسية برجوازية، تمتع والده بثقافة متنوعة، مما انعكس على شخصيته، فقد كان مولعا بالمطالعة منذ الصغر، فقد أتقن اللغة الفرنسية والألمانية واللاتينية، كما اهتم بالشعر وقرأ لكبار الشعراء الروس، وحلل شعر *مالارميه* وهو في سن الثانية عشر، ونظم الشعر وهم في سن الخامسة عشر، تخصص في جامعة موسكو في مجال القواعد المقارنة وفقه اللغة السلافية، كما اهتم بالعلاقة بين اللغة والأدب، وانضم إلى حلقة براغ وأهتم بدروس دي سوسير، ويعد جاكبسون من أوائل اللسانين في تناول التحليل البنيوي للأشكال الأدبية.

توجه عام 1920 إلى تشيكوسلوفاكيا وأصدر عام 1921 دراسة تناولت الشعر الروسي الحديث، وفي سنة 1928 وضع مع تروبتسكوي وكارسفسكي النظريات اللسانية التي اعتمدتها مدرسة براغ، وفي عام 1938 شغل منصب نائب رئيس لهذه المدرسة، وانتقل فيما بعد سنة 1942 إلى الدنمارك والنرويج ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية أين وجد المجال الخصب للبحث اللساني.

وكان للقاء جاكبسون في أمريكا لبعض تلاميذ "فرويد" وبعض العلماء البارزين كـ"تشومسكي" و"هال" و"ليفي ستراوس" الأثر الكبير في تطور اللسانيات الحديثة، ولقد ساعدت جاكبسون الظروف التي أحيطت به منذ طفولته وكذلك أسفاره ومقابلاته الكثيرة على إثراء دراسته وتعميقها وتنويعها خاصة وأنه يتمتع بذاكرة قوية، أمضى كل حياته في العمل الدائب والبحث المستمر والدراسة الجادة حتى وافته المنية سنة 1983 وترك لنا ما يزيد عن 370 كتابا ومقالة.

***- مبادؤه (جهوده في المدرسة):**

يمكن تلخيص ذلك فيما يلي:

أ- النظرية الفونولوجية:

استطاع رومان جاكسون أن يقدم تصورا عن الدراسة الوظيفية للصوت اللغوي يتسم بشيء من الدقة والعلمية والطرح الجديد مما جعله يتميز عن بقية الفونولوجيين، فهو يرى أن الفونيم حزمة من الصفات الذاتية التي تتدخل في التبليغ والتمييز بين المعاني مثل: السين صوت مهموس، رخو أسناني، لثوي، مرقق.

كما عرفه على أنه مجموعة من الملامح المميزة التي تتبع من الخصائص النطقية والسمعية وتدد كل صوت لغوي مثل موضع النطق وصفته.

ونظرا لدقة الملامح المميزة لكل فونيم والحاجة الماسة إلى تحديدها لجأ جاكبسون إلى الاستعانة بالآلات الصوتية المتطورة لتحليل الأصوات على شكل موجات صوتية تسمى أجهزة (التحليل الطيفي) التي تهتم بنسبة تردد الأصوات.

والجدير بالذكر في هذا المقام أن جاكبسون لا يولي اهتماما كبيرا للسمات النطقية التي تعد المخرج أساسا هاما في تحديد الصفات التمييزية كما فعل تروبتسكوي، إنما حاول دراسة السمات السمعية إيمانا منه أن المظهر السمعي هو الهدف المباشر لعملية التصويت.

وتوصل جاكبسون إلى وضع تنظيم فونولوجي كلي يحتوي على صفات سمعية تصلح لوصف النظام الفونولوجي في كل اللغات الإنسانية وهو بذلك خالف دي سوسير وبوغز اللذين قالا بنسبية الفونولوجيا، وبيّن في كتابه مقدمة في تحليل الكلام أن هذا النظام الكلي تتصف به كل اللغات الإنسانية ومن هذه السمات:

صائت، صامت/ مجهور، مهموس/ زفيري، شهيقي/ أنفي، شفهي/ غليظ، حاد/ رخو، شديد/ مزيد، غير مزيد...

ومنه ضمّن جاكبسون نظريته الفونولوجية خصيتين:

- العالمية: السمات مستودع كلي تختار كل لغة تنظمها الفونولوجي منه، فهي متشابهة لدى جمع اللغات.

– الثنائية: أي أن الفونيمات تصنف من حيث احتواؤها على سمة معينة أو عدم احتوائها عليها، فهي تأخذ شكل (+/–) مثل (+ جهرأو – جهر)

ب– علم النفس اللغوي:

اهتم جاكبسون بدراسة علم النفس اللغوي والنمو اللغوي للأطفال، وذلك بتطبيق المبادئ الفونولوجية والألسنية في هذين المجالين، واهتدى إلى نظام داخلي عام، حيث يكتسب كل الأطفال لغتهم الأم وفق قوانين كلية.

ودرس في اكتساب اللغة (الحبسة) والأمراض اللغوية الأخرى حيث لا حظ وجود نوعين من الإصابات المختلفة:

النوع الأول: يكون على مستوى الفونيمات فتنشأ الحبسة نتيجة فقدان بعض السمات المعينة للفونيميات مثل عدم تميز المريض بين (الراء واللام) وهنا يكون تنظيمه الفونولوجي ناقصا من حيث عدد العناصر، وفي المقابل ازدياد الكلمات المتجانسة من الناحية اللفظية مثل: رهب، تصير لهب ..

النوع الثاني: يكون على مستوى المورفيمات، فالمريض هنا قادر على تمييز الفونيمات لكنه فاقد القدرة على إدراك معاني الكلمات، أي لا يميز بين الكلمتين المختلفتين من حيث المعنى مثل: جالس– راكب– ماشي.

كما صنف الإصابات والاضطرابات اللغوية إلى ثنائية متأثرا في ذلك بدي سوسير في ثنائية التركيب والاستبدال، حيث صنف هذه الإصابات إلى:

- إصابات استبدالية: ناتجة عند تدهور قدرة المريض على اختيار الوحدات اللغوية من النظام اللغوي ككل.
- إصابات تركيبية: ناتجة على تدهور قدرته في التركيب هذه الوحدات في جمل مفيدة.

ج– نظرية وظائف اللغة:

أهم ما جاء به جاكبسون نظرية وظائف اللغة التي تبنى على العناصر التي يجب توفرها لإقامة تواصل، حيث اقتبسها من نظرية الاتصال الذي ظهرت عام 1948 التي حددت عناصر دورة التخاطب، وأضاف إلى ذلك وظيفة خلال كل عنصر، وحددها كما يلي:

- المرسل له وظيفة تعبيرية (انفعالية)
- المتلقي له وظيفة إفهامية (أمرية، ندائية)
- الرسالة لها وظيفة جمالية (شعرية، إنشائية، أدبية)
- السياق ويقصد السياق المقامي له وظيفة مرجعية (تعينية، تعريفية)
- القناة لها وظيفة إقامة أو قطع الاتصال (وظيفة تنبهية)
- الشفرة ما وراء اللغة لها وظيفة شارحة (رموز مشتركة بين المرسل والمتلقي)

د- الأسلوبية الإنشائية:

كان لجاكبسون اهتمامات أخرى كثيرة منها الأسلوبية والإنشائية، حيث يوجد أكثر من ثلاثة أرباع أعماله قبل 1939 تمحورت حول الشعر والأدب، ويظهر ذلك في بحثه *عن الشعر* سنة 1933 حيث تناول فيه قضايا الشعر، واهتمامات جاكبسون بالأدب والشعر كانت منذ صغره، وكان للثقافة الروسية تأثيرها الكبيرعليه، فهي بمثابة الوسط الفلسفي والأدبي الذي استلهم فيه جل أفكاره، حيث أنه عضو بارز في المدرسة اشكلانية الروسية التي اهتمت بدراسة اللغة الشعرية، وأخذت هذه المدرسة وصفها (الشكلانية) وفقا لدراستها فكانت تتمسك بالأشكال الخارجية للفنون والآداب، وتعنى بتحليل الأشكال النماذج الأدبية بالدرجة الأولى، وذلك مثل التكرار الصوتي والتركيبي وغيرها مع التركيز أيضا على الموسيقى الخارجية الناتجة عن الوزن والإيقاع، كما يركزون على الأسلوب والجوانب الفنية ويستغنون عن المحتوى الدلالي النفسي أو الفلسفي، لهذا اهتم أعضاء مدرسة براغ خاصة جاكبسون بمجالات مثل: الإيقاع الشعري، التقطيع العروضي للأشعار التشيكية والروسية والتحليل الفونولوجي الآلي وكذلك التاريخي، فجاكبسون اهتم كثيرا بالبحوث الفونولوجية التاريخية حتى لا يتغافل الجانب التاريخي كما فعل دي سوسير من جهة، ولأنه لا يفصل عن المنهجين الوصفي والتاريخي.

المحاضرة الرابعة

مدرسة كوبنهاجن (النظرية الغلوسيماتيكية)

1- مدخل:

لقد لاقت آراء دي سوسير اللغوية رواجا كبيرا وتأثيرا واسعا في أوروبا خاصة في الدنمارك، إذ بُنيت على هذه الآراء نظرية سُميت بالغلوسيماتيك التي تعد نفسها نظرية فونولوجية بديلة لنظرية دي سوسير، طوّر فيها أصحابها الدراسة لتكون أكثر علمية وأكثر دقة.

2- مفهومها:

هي إحدى المدارس اللسانية البنيوية درست اللغة باعتبارها نظاما مترابط المستويات (التركيز على الجانب الشمولي أو الكلي للغة)، وتميزت هذه المدرسة على المدارس البنيوية الأخرى بأنها انفردت ببعض السمات والخصائص في الدراسة لم تظهر عند غيرها من المدارس، فقد تبنت أفكار اللسانيات البنيوية مع قدر كبير من الدقة، ذلك انطلاقا من اعتبارات منطقية ورياضية.

حاول أصحاب هذه المدرسة إحداث ثورة عارمة على الأساليب القديمة في دراسة اللغة، خاصة تلك الأساليب المتأثرة بالفلسفة والأنثروبولوجيا واللسانيات المقارنة، وإقامة لسانيات علمية حديثة مبنية على أسس رياضية ومنطقية وكلية (مشتركة بين جميع اللغات) تعنى بوصف الظواهر اللغوية وتحليلها وتفسيرها بطريقة موضوعية.

وهذه النظرية تتميز عن باقي النظريات اللسانية بدرجة لا مثيل لها من التجريد النظري، وكما يقول هلمسليف: «إنها تهدف إلى إرساء منهج إجرائي يمكّن من فهم كل النصوص من خلال الوصف المنسجم والشامل، إنها ليست نظرية بالمعنى العادي لنظام من الفرضيات، بل نظام من المقدمات المنطقية الشكلية والتعريفات والنظريات المحكمة التي تمكّن من إحصاء كل إمكانات التأليف بين عناصر النص الثابتة».

هذه النظرة للغة جعلتهم يدرسونها وفق مبدأ المحايثة أي دراسة اللغة من ناحية بنيتها الداخلية بمعزل عن النواحي الخارجية (النواحي الاجتماعية والنفسية والتاريخية...) وهي فكرة مأخوذة من مبدأ سوسير المعروف بدراسة اللغة في ذاتها ولذاتها.

وقد سميت هذه المدرسة بعدة تسميات منها: مدرسة كوبنهاجن، المدرسة الدانماركية، المدرسة السويسرية الحديثة، المدرسة النسقية.

3- فحوى النظرية الغلوسيماتيكية:

هي نظرية تعنى بدراسة اللغة دراسة وصفية انطلاقا من اتباع منهج منطقي رياضي بعيدا عن الدراسات المتأثرة بالفلسفة والأنثروبولوجيا، تسير وفق المنهج البنيوي بصفة عامة، وهي تميل إلى صياغة مفردات جديدة واستعمال عبارات قديمة بمعان جديدة، فمصطلح غلوسمياتيك مشتق من الكلمة الإغريقية glossa والتي تعني اللغة.

وتهتم الغلوسيماتيك بدراسة الغلوسيمات أي الوحدات النحوية الصغرى التي لا تقبل التجزئة، حيث تنقسم إلى وحدات التعبير وتدعى سوانم وهي مشتقة من الإغريقية kenos بمعنى فارغ، ووحدات المحتوى وتدعى مضامين pleremes وهو مصطلح مأخوذ من اللغة الإغريقية pléros بمعنى مليء، والشيء المهم في هذه النظرية ليس تلك الأصوات والحروف والمعاني في حد ذاتها ولكن علاقاتها المتبادلة ضمن سلسلة الكلام ونماذج النحو، فهذه العلاقات هي التي تصنع نظام اللغة الداخلي، أما الأصوات والحروف والمعاني لوحدها ليست لها أية علاقة بالنظام.

وقد عنيت هذه النظرية بالمصطلحات اللسانية وحددتها بدقة من أجل توضيح وفهم المفاهيم التي استعملتها في التنظير وخاصة عند هلمسليف.

4- نشأتها:

تأسست سنة 1931 حلقة لغوية كوبنهاجن، وكان توجهها بنيوي، والتأسيس الفعلي لهذه المدرسة كان سنة 1934 على يد العالمين "لويس هلمسليف" و"فيجو بروندال" ويضاف إليهما اللساني "أولدال".

تبنت المدرسة في بادئ الأمر موقفا مغايرا عن مدرسة براغ التي راجت أفكارها بشكل كبير بسبب تطورها لمفهوم القوائم باعتباره وظيفيا بالدرجة الأولى، وهذا باشتراك العالمين هلمسليف و أولدال في البحث العلمي عام 1933، وفي عام 1935 اقترحا بتسمية النظرية الجديدة بعلم الفونيمات، وفي عام 1936م بالمؤتمر الثالث للسانيات الذي انعقد بكوبنهاجن عن تجسد مصطلح الغلوسيماتيك باعتباره نظرية متميزة عن نظرية مدرسة براغ الفونولوجية، وفي سنة 1938 اتضحت هذه المدرسة من خلال إسهامات هلمسليف وبروندال وذلك في مجال اللسانيات البنيوية، حيث أسسا مجلة بعنوان *مجلة دولية للسانيات البنيوية* والتي تعد أول فعل رسمي لنشأة البنيوية بوصفها اتجاها جديدا، ومنذ عام 1944 بدأت أعمال مدرسة كوبنهاجن تتوالى على منوال مدرسة براغ.

إن الشكل الرئيسي لهذه النظرية الجديدة قد اتخذت من مؤلفات هلمسليف التالية: مبادئ النحو عام 1928، محاولة في نظرية 1936، مقدمة في نظرية اللغة1943.

5- مبادؤها العامة:

تقوم هذه المدرسة على خمسة مبادئ هي:

أ- الاعتماد على المنهج التجريبي القائم على الملاحظة والاختبار، ويتم تطبيق ذلك بتوفير ثلاثة شروط هي:

- اللاتناقض: أي عدم وجود تناقض بين المقدمة والنتائج.
- الشمولية: السعي إلى إيجاد نحو كلّي يطبق على كل لغات العالم.
- التبسيط: العملية التي يراد من خلال تسهيل التحليل.

ب- الاعتماد على مبدأ الإحكام والملاءمة:

ولكي تكون الدراسة موضوعية ومنطقية لا بد أن تخضع لهذا المبدأ الذي يتكون من خاصتين ضروريتين، فالأولى الإحكام وقد ورد هذا المصطلح في محاضرات دي سوسير من خلال حديثه عن طرفي العلامة اللغوية (الدال والمدلول)، فلكي تكون الدراسة ناجحة ومنطقية حسب هلمسليف لا بد أن تخضع لمعيار الإحكام أو الاتساق التام، أي تكون

مترابطة، فالنتائج الطبيعية لأي قضية تابعة لمقدماتها المنطقية كتبعية الدال للمدلول عند دي سويسر.

أما الملائمة فتتحقق عندما تلبي مقدمات الدراسة شروط التطبيق على عدد كبير من المعطيات التجريبية.

ج- النزعة المضادة للميتافيزيقا:

تنص على أن الجمل الميتافيزيقية ليست خاطئة بل خالية من المعنى، وذلك لأنها تبحث في ما وراء اللغة، وبالتالي تخرج عن إطارها الداخلي، لأن هذه النظرية تركّز على الأمور العقلية القائمة على التحليل الرياضي والاستنتاج.

د- التركيز على الوصف التركيبي:

يتناول وصف المضمون أشياء كثيرة غير قابلة للملاحظة أو الإبلاغ بطريقة مباشرة، ومنه يتعدى إلى تحليل وتبسيط ووصف العلاقات بين الظواهر (إدراك الألوان) كون النظرية ذات صبغة تجريدية.

هـ- تحويل اللغة العلمية إلى علم الجبر:

وهي عملية تهدف إلى تحويل المصطلحات اللسانية إلى رموز رياضية، ويشترط في ذلك إقصاء كل أنواع التراكيب الخاصة بالجمل الميتافيزيقية، ومن هذه المصطلحات اللسانية ما يلي:

$Y^o\ g^o$ (R (V يدل على المحور التركيبي.

$Y^o\ g^o$ (V) يدل على مصطلح النظام.

6- مبادئ هلمسليف في النظرية الجلوسيماتيكية:

بنى هلمسليف نظريته على مجموعة من المبادى أهمها:

أ- اللغة شكل وليست مادة: استلهم هلمسليف هذه النظرية من آراء دي سوسير في أن اللغة شكل وليست مادة، لكنه غالى فيها كثيرا فدوسوسير حتى وإن رأى أن اللغة شكل وليست مادة لم يهمل الجانب الوظيفي الاجتماعي للغة (التبليغ والتواصل)، لكن هلمسليف أهمل الجانب الاجتماعي للغة وركز على شكلها فقط نظرا للطبيعة التجريدية لنظريته.

ب- ثنائية النظام/النص أو النمط/ الاستعمال وهي تقابل ثنائية دي سوسير اللغة/ الكلام:

فاللغة عند دي سوسير هي النظام أو النمط عند هلمسليف والكلام عند الأول هو النص أو الاستعمال عند الثاني.

وفي هذا الإطار تجدر الإشارة إلى أن هلمسليف تجاوز فكرة الجملة التي كان يعتمدها البنيويون في تحليلهم كأكبر وحدة لسانية إلى فكرة النص بوصفه بنية شكلية، كما يعتمد في تحليله على اتجاه واحد من الكل إلى الجزء على خلاف البنيويين الآخرين الذين اهتموا بالتحليل انطلاقا من الجزء إلى الكل، ولم يهمل الاتجاه العكسي (من الكل إلى الجزء)، ومن هنا فهلمسليف أهمل المادة الصوتية، كما خالفهم أيضا في مصطلح الوظيفية الذي يعده البنيويون الآخرون خاص بالمحتوى الدلالي المكون اللغوي، أما هلمسليف فيخصه للعلاقة الأفقية بين الوحدتين.

ج- ثنائية الرابط/ الارتباط أو علاقات/ التعالاقات:

هي ثنائية مستهلة من ثنائية دي سوسير (المحور التركيبي/ المحور الاستبدالي) فمحور الربط أو العلاقات عند هلمسليف هو المحور التركيبي عند دي سوسير، ويتجسد ذلك من خلال أداة الربط *و* فإذا جاء العنصران اللغويان متجاورين من خلال أداة الربط *و* فإنهما يشكلان تركيبا أي وحدة +وحدة +وحدة = تركيب، أما محور الارتباط أو التعالقات فيقابله عند دي سوسير محور الاستبدال، ويتجسد ذلك من خلال أداة الارتباط *أو* فإذا ورد العنصران متجاورين وكانت العلاقة بينهما هي الارتباط من خلال أداة الارتباط *أو* فإنهما يكونان علاقة رأسية استبدالية قائمة على الاختيار، أي وحدة مكان وحدة (كلمة مكان كلمة، صوت مكان صوت) نحو: (قام – نام- صام – العلاقة بين القاف والنون والصاد)

د- ثنائية التعبير/ المحتوى:

وهذه الثنائية تقابل ثنائية الدال والمدلول عند دي سوسير، فالتعبير هو الدال والمحتوى هو المدلول، والشيء المختلف عن دي سوسير أنه قسم كل طرف إلى ثنائية (شكل/ مادة) فنحصل بذلك على أربعة طبقات كما في الشكل التالي:

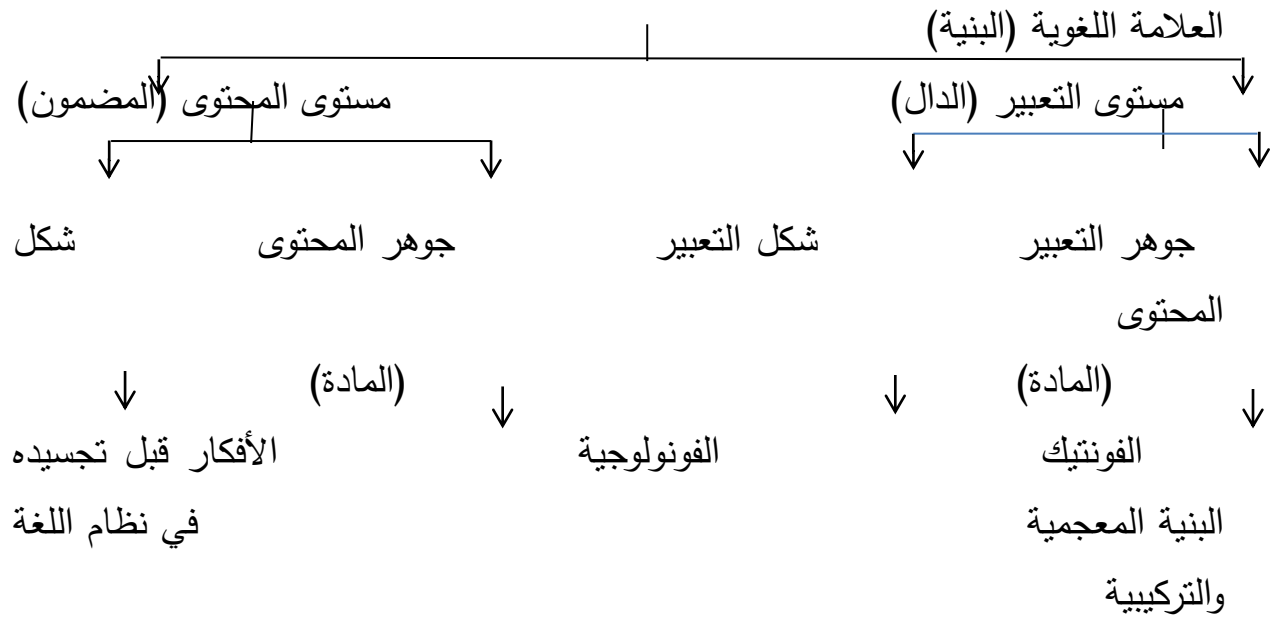

ويمثل جوهر التعبير الجانب المادي الخالص، يعني الحروف أو الأصوات مكتوبة أو المنطوقة متمثلة في الجانب الفيزيائي (الموجات الصوتية) أمه شكل التعبير فهو الجانب التنظيمي للمادة الصوتية الخام، أما جوهر المحتوى فهو الفكرة قبل تحققها، أي قبل أن توضع في النظام، وهي واحدة عند جميع الناس، أما شكل المحتوى فهو الفكرة ذاتها بعد وضعها داخل النظام اللغة.

ركز هلمسليف على الشكل (شكل التعبير وشكل المحتوى) أي الفونولوجيا والبنية التركيبة والمعجمية، لأنه يرى أن الاختلاف بين اللغات يمكن في الشكل لا في جوهر لهذا اعتبر الفونتيك وال دلالة علوما مساعدة.

هـ- استعمال مصطلح *الغلوسيم*:

استعمل هلمسليف مصطلح الغلوسيم في تحليله اللغوي وعرفه بأنه أصغر وحدة نحوية لا يمكنها التجزئة.

والغلوسيم عنده هو (وحدات تعبيرية + وحدات المحتوى)

سوانم أو كنيمات + مضامين أو بليرمات

فوحدات التعبير (السوانم) هي بمثابة وحدات فارغة دون دلالة، فهي تشبه الأصوات عندما تكون منعزلة عن بعضها، أما وحدات المحتوى (مضامين بليرمات) فهي بمثابة

وحدات مملوءة ذات دلالة، فهي تشبهه المورفيمات، حيث تحتوي على الملامح التمييزية، فعلى سبيل المثال كلمة امرأة تحلل كما يلي:

- مستوى التعبير: ا- م- ر- أ- ة.

- مستوى المحتوى: إنسان- أنثى- مفردة (ملامح تمييزية).

خاتمة:

رغم الانتقادات الكثيرة التي وجهت لهذه المدرسة كونها تجريدية خالية من التطبيق، خاصة أن اللغة ظاهرة نفسية تعبر عن المشاعر والأحاسيس، وإهمالها الجانب الصوتي كونها تنطلق من الكل إلى الجزء، واهتمامها بالشكل بطريقة مفرطة، وكذا إهمال الجانب المضموني خاصة الوظيفية الاجتماعية، وعدم تحقق سمة المحايثة كون اللغة مرتبطة بالعوامل الخارجة خاصة الاجتماعية والنفسية، إلا أن النظرية الغلوسيماتيكية أضافت لبنة جديدة في اللسانيات الحديثة خاصة وأنها تنظر إلى اللغة على خلاف سابقيها، وحاولت تطبيق منهج رياضي ومنطقي على اللغة، مما أسهم بشكل كبير في إعلان الثورة على الأساليب التقليدية في معالجة اللغة، بالإضافة إلى أنها السبب الرئيس في ظهور اللسانيات الرياضية.

المحاضرة الخامسة

المدرسة الفرنسية

مدخل:

لقد انتشرت آراء مدرسة براغ انتشاراً واسعاً في أوربا خاصة، مما يجعلها المدرسة الرائدة في مجال الفونولوجيا، ولعل أن أحد أعلامها كان مؤسسا للمدرسة الفرنسية ألا وهو أندري مارتيني، من هنا يمكننا القول بأن هذه المدرسة هي امتداد للمدرسة الأولى.

أولا- مفهومها:

هي مدرسة لسانية بنيوية نشأت في فرنسا سارت على نهج دي سوسير في البحث وإبراز أهمية الوظيفة الاجتماعية للغة، وتحاول من خلال دراستها كشف الوظيفة التي تؤديها كل وحدة لغوية داخل التركيب، خاصة الوحدات التي لها دور هام في التمييز بين المعاني.

ومن هذا المنطلق فإن المدرسة عمدت إلى تطوير التحليل التركيبي للجملة انطلاقا من النتائج التي وصلت إليها الدراسة الفونولوجية في مدرسة براغ.

ويطلق على هذه المدرسة: المدرسة الفرنسية، المدرسة الوظيفية التركيبية، وأشهر علمائها: "أندري مارتيني" و"لوسيان تسنير" و"إميل بنيفنيست" وبوتير".

ثانيا- نشأتها:

ظهرت بوادر هذه المدرسة في ظل النزعة الفونولوجية ضمن نشاط مدرسة براغ اللسانية على يد "أنذري مارتيني" رفقة مجموعة من اللغويين الفرنسيين.

ويعد أندري مارتيني من أبرز أقطاب هذه المدرسة حيث أسهم في تطويرها من خلال اتصالاته المكثفة مع لغوي حلقة براغ اللسانية، ولقد اهتم بالفونولوجيا متأثراً بنيكولاي تروبتسكوي، وفي الوقت نفسه كان يتابع تطور نظرية الرياضيات اللغوية (الغلوسيماتيك) وذلك في الفترة (1932- 1938).

وفي الفترة ما بين (1946- 1955) تابع تطور اللسانيات البنيوية الأمريكية، كما تابع دروس بعض الألسنيين أمثال، أنطوان مييه وفندريس.

4- مبادئ مارتيني الوظيفية:

وتمثل هذه المبادئ الوظيفية آراءه اللسانية، وهي كما يلي:

4-1- المبادئ العامة: هي مبادئ مجسدة عند الكثير من الألسنيين قبله، طور منها وحصرها فيما يلي:

4-1-1- وظيفة اللغة:

يرى مارتيني أن الوظيفة الأساسية للغة في المجتمع اللغوي هي الوظيفة التواصلية، ورغم اختلاف بنية اللغة من مجتمع إلى آخر تبقى هي الوظيفة الجوهرية، وهذا ما أكد عليه دو سوسير سابقا، كما لا ينبغي إهمال الوظائف الأخرى التي تؤديها اللغة، ويرى أن اللغة ليست نقلا آليا للأشياء أو نسخا عنها، إنما هي بنى منظمة ومترابطة ومتكاملة.

4-1-2- النظرية الفونولوجية:

ويمكن تلخيص مبادئ مارتيني الفونولوجية فيما يلي:

- إزالة الفصل بين الفونتيك (علم الأصوات العام) والفونولوجيا (الصوتيات الوظيفية) الذي وضعته مدرسة براغ، حيث عدّ الفونولوجيا بمثابة الفونتيك الوظيفي، بمعنى أن المحلل الفونولوجي يستعمل المعطيات الفونتيكية في تحليله الوظيفي.
- الاهتمام بالبحوث الفونولوجية التاريخية، ذلك نظراً لأن دي سوسير ركز على الدراسة الوصفية وتغافل بعض الشيء الجانب التاريخي.
- الهدف من التحليل الفونولوجي تشخيص العناصر الصوتية وتصنيفها حسب وظيفتها في اللغة، حيث ميز بين ثلاث وظائف أساسية.
  - الوظيفة التمييزية: تظهر وظيفة الفونيم التمييزية من خلال مقابلته بفونيمات أخرى نحو: قام- نام- صام- حام...
  - الوظيفة الفاصلة: هي التي تمكن السامع من تحليل القول إلى وحدات متتابعة، أي أن السامع يستطيع وضع فواصل بين مقاطع التركيب، نحو (حضر أخوة يوسف وهم يبكون).

- الوظيفة التعبيرية: وتسمى أيضا بالانفعالية لأنها تكشف عن انفعالات المتكلم، فكل جملة توحي بحالة معينة، غضب– فرح– حسرة...

- المردود الوظيفي للتقابل الفونولوجي: تبنى مارتيني فكرة التقابل أو التضاد الفونولوجي التي جاء بها تروبتسكوي في نظريته الفونولوجية، والتي تنص على أن الوظيفة التمييزية للفونيم تظهر عند مقابلته بفونيم آخر، حيث طورها مارتيني وأتى بمفهوم المردود الوظيفي للتقابل الفونولوجي المتمثل في القدرة التمييزية بين عدد الثنائيات الصغرى التي تمثل تقابل فونيمين في لغة ما، فالمردود الوظيفي للفونيمين /ن/و/ق/ –كونهما يمثلان فونيمين متقابلين– هو عدد الثنائيات الصغرى التي يتقابلان فيها، فهو: (قام– نام) (قلم– كلم).

ويكون المردود الوظيفي للتقابل الفونولوجي مرتفعا إذا حصل الباحث على ثنائيات صغرى كثيرة تجسد تقابل فونيمين، أو منخفضا إذا تم الحصول على ثنائيات صغرى قليلة تجسد تقابل فونيمين، وقد يكون المردود منعدما ومثال ذلك في اللغة الإنجليزية يوجد مردود وظيفي بين (P) (B) وفي اللغة العربية نجده منعدما كون الأصوات العربية تتضمن صوت "ب" فقط.

4-1-3- التقطيع المزدوج:

يُعد التقطيع المزدوج الذي تبناه دو سوسير في بادئ الأمر أساس نظرية مارتيني، حيث يراه ميزة جوهرية من ميزات اللسان البشري، حيث تختلف عنه بقية الوسائل التبليغية كونه مزدوج التقطيع، والتقطيع المزدوج هو تقطيع ثنائي يتم فيه تقسيم الكلام إلى:

- المستوى الأول (الوحدات الدالة): وفيه نحصل على وحدات ذات مضمون معنوي وصوت ملفوظ (دال+ مدلول) يسميها مارتيني مونيمات، وهي أصغر وحدة دالة (المورفيم عند مدرسة جنيف) ويسمى في العربية "اللفظم"

مثال: "حضر الطالب محاضرتين" تقطع إلى خمسة مونيمات:

حضر/ ال/طالب/محاضرة/ين

وهذه الخطوة تسمى التقطيع الأول.

- المستوى الثاني (الوحدات غير الدالة): يمكن أن يقسم كل مونيم مما سبق إلى وحدات تمييزية؛ وهي أصغر وحدة غير دالة وتسمى "الفونيم" ففي الجملة "حضر الطالب" تتكون من ثلاثة مونيمات في المستوى الأول وفي المستوى الثاني يقسم كل مونيم إلى وحداته التمييزية، فالمونيم "حضر" يتكون من ستة مونيمات هي: ح/-/ض/-/ ر/-، وهذه الخطوة تسمى التقطيع الثاني.

4-1-4- الاقتصاد اللغوي:

يرى "مارتيني" أن التطور الذي يحدث للغة سببه الرئيس هو ذلك التواصل داخل المجتمع، فالإنسان دائما في صراع داخلي وخارجي يتطلب منه التواصل والإفهام، مما يتطلب وجود مفردات وعبارات جديدة تفي بالغرض، والطبيعة الإنسانية ميالة إلى الخمود والجمود، فيسعى إلى التواصل مع غيره بأقل قدر ممكن من الكلمات المعبرة (تؤدي وظيفتها الأساسية)، ويكون الاقتصاد على المستوى الكلي للغة، وعلى المستويين اللغويين الفونيمي والمونيمي:

- على مستوى اللغة: اللغة وسيلة اقتصادية بالنسبة للعالم الخارجي (تلخيص قصص...).
- على مستوى المونيمات: استبدال فونيم بآخر: صام- نام- لام- رام...

كما يظهر الاقتصاد اللغوي في كثير من القضايا اللغوية كنظام الاشتقاق في اللغة العربية مثلا، ونظام التقاليب أحد مظاهر هذا الاقتصاد، فانطلاقا من أصوات معينة نأتي بصيغ صرفية مختلفة: اسم فاعل+ اسم مفعول...

4-1-5- الدراسة التركيبية:

طور مارتيني مفهوم التحليل التركيبي للجملة انطلاقا من النتائج التي وصل إليها اللغوي التشيكي فيلام ماتزيونس الذي قسم الجملة إلى موضوع وخبر، حيث إن لكل عنصر أساس في الجملة دلالة فعالة حسب دوره الحركي في عملية الاتصال.

ويراعي "مارتيني" في التحليل الوظيفي التركيبي المبادئ التالية:

أ-**الصلات القائمة بين الوحدات:** ويقصد بهذا العلاقات بين الفونيمات حيث إن قيمة الفونيم الدلالية لا تظهر إلا من خلال صلته بالفونيمات الأخرى المجاورة له في السياق.

ب- **موضع الوحدات:** ويقصد بذلك مرتبة الوحدة داخل التركيب، هذه المرتبة تؤدي دوراً تمييزاً، نحو: "ضرب عمر زيدًا" و"ضرب زيد عمر" فالترتيب في الجملة الأولى غيره في الجملة الثانية التي يكون معناها مختلفا عن الأولى: ومن هنا فتغير موضع الوحدة يؤدي إلى تغير المعنى (الوظيفة).

ومما تجدر إليه الإشارة هنا أن مارتيني طبق هذا المبدأ على اللغة الفرنسية، وهي غير معربة، بينما في اللغة العربية يجوز التقديم والتأخير ولا يتغير المعنى؛ لأن العلامات الإعرابية تدل على الفاعل والمفعول إلا في حالات محددة نحو: "ضرب موسى عيسى".

ج- **المحتوى الدلالي للوحدات:** يرى ماتيني أن مراعاة معنى الوحدات من أجل تحديد وظائفها أمر ضروري في التحليل وتحديد معنى التركيب نحو: قطن في المدينة قبل عام عمر" فعند مراعاة معنى الوحدة نجد أن لفظة "عمر" هي الفاعل رغم تأخرها.

ويرى مارتيني أن التحليل التركيبي في النظام اللساني يقوم على الوحدة الأساسية وسماها "المونيم" وتخلى عن " الكلمة" لأنها تدل على وحدات مختلفة صغيرة كالظروف والحروف، ووحدات ليست صغيرة كالأفعال، فهي تتضمن الحروف الدالة على الفعل، كما تتضمن زيادة على ذلك الصيغة الدالة على الفعل كالأمر مثلا (أخرج: حروف دالة على الخروج+ أمر موجه بالمخاطب المفرد المذكر) وعوض ذلك بمصطلح " المونيميات" حيث يرى أن العلاقة التي تربطها في النظام اللساني تتجلى في حالات هي:

- المونيم المستقل: هي الوحدات التي تكمل وظيفتها وتؤديها دون ارتباطها بغيرها أو بموقع معين في التركيب، مثل ظروف الزمان المختلفة، أمس، اليوم، غدًا، أحيانا.... ففي جملة "زارنا ضيف أمس" المونيم "أمس" مستقل لأنه يمكن أن يظهر في مواقع مختلفة دون أن يختل المعنى فنقول: **أمس** زارنا ضيف، زارنا **أمس** ضيف، زارنا ضيف **أمس**.
- المونيم الوظيفي: وهي وحدات لا تعمل وظيفة في حد ذاتها، بل تجلب وظيفة لوحدات أخرى تأتي بعدها كحروف الجر وأدوات النصب والجزم في العربية مثل: ذهب الطلبة إلى المكتبة، "إلى" لا تمثل وظيفة في حد ذاتها بل جلبت وظيفة للوحدة "الجامعة" فتُعدّ اسما مجروراً.

- المونيم التابع (غير المستقل): لا تتحد وظيفته إلا بتعينيه إلى المونيم الوظيفي، ففي المثال السابق كلمة المكتبة هي مونيم تابع.

وهناك مونيمات تابعة مقيدة بالموقع، تتحدد وظيفتها من خلال موقعها نحو: جاءنا صاحب الدار، فكملة الدار مونيم تابع مقيد بالموقع حيث جاء مضافا إليه.

- التركيب المكتفي: وهو تركيب يتكون من أكثر من مونيم أحدهما يكون وظيفيا والآخر تابعا ولا تتحدد وظيفة هذا التركيب من خلال جزء واحد من عناصره، بل من خلال تركيب العناصر مجتمعة، مثل: الجار والمجرور والمضاف والمضاف إليه والنعت والمنعوت، نحو: زرت مع أصدقائي معرض الكتاب، فعبارة (مع أصدقائي) تمثل تركيبا مكتفيا، وكذلك (معرض الكتاب).
- التركيب الإسنادي: هو النواة التي تقوم عليها العبارة وترتبط بها سائر الوحدات بصفة مباشرة أو غير مباشرة: نحو قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فهذه العبارة القرآنية تحتوي على: مونيم مستقل "اليوم" وتركيب مكتف "لكم دينكم" وأما "أكملت" فهذه العبارة تركيب إسنادي يتكون من مسند (الفعل "أكمل") ومسند إليه (الفاعل "ت")، وما سواه سمي إلحاقا (فضلة)؛ لأن الكلام يبقى من دونها سليما من الناحية الوظيفية، ولا تتغير العلاقات بين الوحدات اللسانية، لهذا فوظيفتها غير أساسية، فإذا تعلقت بالتركيب الإسنادي تعلقا مباشراً فهي تؤدي وظيفة أولية، وإذا تعلقت به تعلقا غير مباشر فهي تؤدي وظيفة غير أولية، نحو: "زرنا شخصا لطيفا" فكلمة "شخص" (مفعول به) مرتبطة بالتركيب الإسنادي تعلقا مباشرا فهي تؤدي وظيفة أولية، أما كلمة "لطيف" فتعلقها بالتركيب الإسنادي تعلقا غير مباشر عن طريق المفعول به فهي تؤدي وظيفة غير أولية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مارتيني قد ميز بين نوعين من الإلحاق هما:

- إلحاق بالعطف: يبقى الكلام مطابقا للتركيب الإسنادي لمجرد حذف العنصر الأولي (لمعطوف عليه) ويحل المعطوف مكانه نحو: جاءنا علي وأحمد: جاءنا أحمد والجملة الثانية مطابقة للتركيب الإسنادي الأول.

- إلحاق بالتبعية: وفيه يتميز العنصر الملحق بوظيفة تختلف عن العنصر الأول (المتبوع) ففي المثال "زارنا ضيف لطيف" لا يمكن حذف العنصر الأولى (ضيف)، لأن وظيفته التركيبة تختلف عن العنصر التابع (لطيف).

والإلحاق عند مارتيني يتضمن وظائف مختلفة كالنعت والمضاف إليه والمفعول به والمعطوف والحال والتمييز...، وهو عملية هامة في بناء التركيب.

ومن منطلق التحليل الوظيفي للبنى التركيبية يعرف مارتيني الجملة بقوله:«هي كل تركيب تتصل عناصره بركن إسنادي وحيد أو متعدد عن طريق الإلحاق».

د- أنواع الوحدات التركيبية:

يرى مارتيني أن الوحدات التركيبية تأخذ أشكالا عدة، هي:

- اللفظة البسيطة: وهي الوحدة الصغرى من التقطيع الأول (أصغر وحدة دالة) يمكن استبدالها بوحدات أخرى على المحور الاستبدالي في المحيط نفسه، نحو أحمد طالب نجيب، يمكن استبدال "نجيب" بـ: مجتهد، ذكي، مجد كسول...

كما يمكن أن تقترن اللفظة البسيطة بوحدات أخرى على المحور التركيبي نحو، هذا طالب نجيب، جاءت طالبة نجيبة...

- اللفظة الممتزجة: وهي اللفظة التي يجتمع فيها مدلولان أو أكثر، حيث لا يمكن الفصل بينهما من الناحية الشكلية كصيغة جمع التكسير مثلا: ففي كلمة " رجال" مدلولان: مدلول يمثله معنى مفرد (رجل) والثاني يمثل معنى الجمع، حيث لا يمكننا التمييز الخطي بين المدلولين على عكس الجمع السالم، فمدلول الجمع يمثلها في جمع التكسير دال؛ هو الدال الممتزج (رجال).

- اللفظة المفروقة: وهي عكس الممتزجة، إذ يتجزأ الدال فيها إلى جزأين أو أكثر لتحديد مدلول واحد غير قابل للتجزئة كالاسم المؤنث المختوم بتاء التأنيث أو الجمع السالم، مثلا: "مسلمون" تتجزأ إلى (مسلم + ون الدال على الجمع المذكر) واجتماعهما يمثل اللفظة ككل.

• اللفظة العدمية أو الصفرية: هي لفظة يغيب فيها شكل متوقع، ويرمز لها أثناء التحليل بعلامة تفاضلية على شكل صفر (0)، حيث يتضح ذلك في اللغة المكتوبة بوجود علامتين شكليتين هما الفتحة والتاء المربوطة مع المؤنث وغيابها مع المذكر، نحو:

طالب 0 / طالبة

كما تتجلى في الأفعال نحو: جاء 0 / جاءت– جاء+ ت

• اللفظة المشتركة: هي دال واحد يتقاسمه مدلولان أو أكثر ولا يمكن استقلالهما بمدلول واحد يحدده السياق، نحو: تَبْتَسِم، فهي صيغة توجد في المضارع مع ضمير المخاطب المفرد المذكر (أنت تبتسم) ومع ضمير الغائب المفرد المؤنث (هي تبتسم).

• الصيغة الاتحادية: وهي وحدة قابلة للتحليل شكليا ومعنويا إلى وحدتين دالتين أو أكثر، إلا أنها تتصرف في تركيبها كمفردة واحدة، وتتحد لأداء وظيفة واحدة، نحو: جواز السفر، بطاقة التعريف، أو أسماء مركبة... وتعامل معاملة اللفظة الواحدة .

• الصيغة التركيبية: هي مجموعة ألفاظ لكل منها وظيفة خاصة، تحتوي في أغلب الأحيان على وحدة وظيفية تحقق لها الاستقلالية، فتكون وظيفتها غير مرتبطة بالموقع نحو: "في السنة الماضية" هي صيغة تركيبية تؤدي الوظيفة نفسها في التراكيب التالية:

في السنة الماضية سافرت إلى مصر/ سافرت في السنة الماضية إلى مصر/ سافرت إلى مصر في السنة الماضية.

خلاصة:

إن التحليل التركيبي لدى "أندري مارتين" اتسم بالدقة والشمولية من خلال تعامله مع معطيات صوتية وصرفية ونحوية ودلالية يتلائم معها، ومن هنا أتى بمصطلح الملاءمة؛ أي على اللساني أن يتقصّى السمات الخاصة والملائمة للموضوع الذي يسعى إلى دراسته، فاللغة كباقي العلوم لها سمات ملائمة أو مناسبة لتحليلها تتمثل في المعطيات الأربعة السابقة.

وبهذا تتضح قيمة الجهود التي بذلها "مارتيني" في البحث اللساني الحديث الذي أصبح يتسم بالموضوعية والعلمية، فقد توصل إلى تمييز عناصر بسيطة بواسطة التقطيع

المزدوج خاصة، فاقترب بذلك من العلوم الدقيقة، الشيء الذي فتح آفاقا في ميدان البحث والتطبيق.

المراجع:

أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور.

بريجيت بارتشت، مناهج علم اللغة.

محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي.

محمود جاد الرب، علم اللغة.

محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة.

ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني.

نعمان بوقرة: المدارس اللسانية المعاصرة.

أحمد حساني، مباحث في اللسانيات.